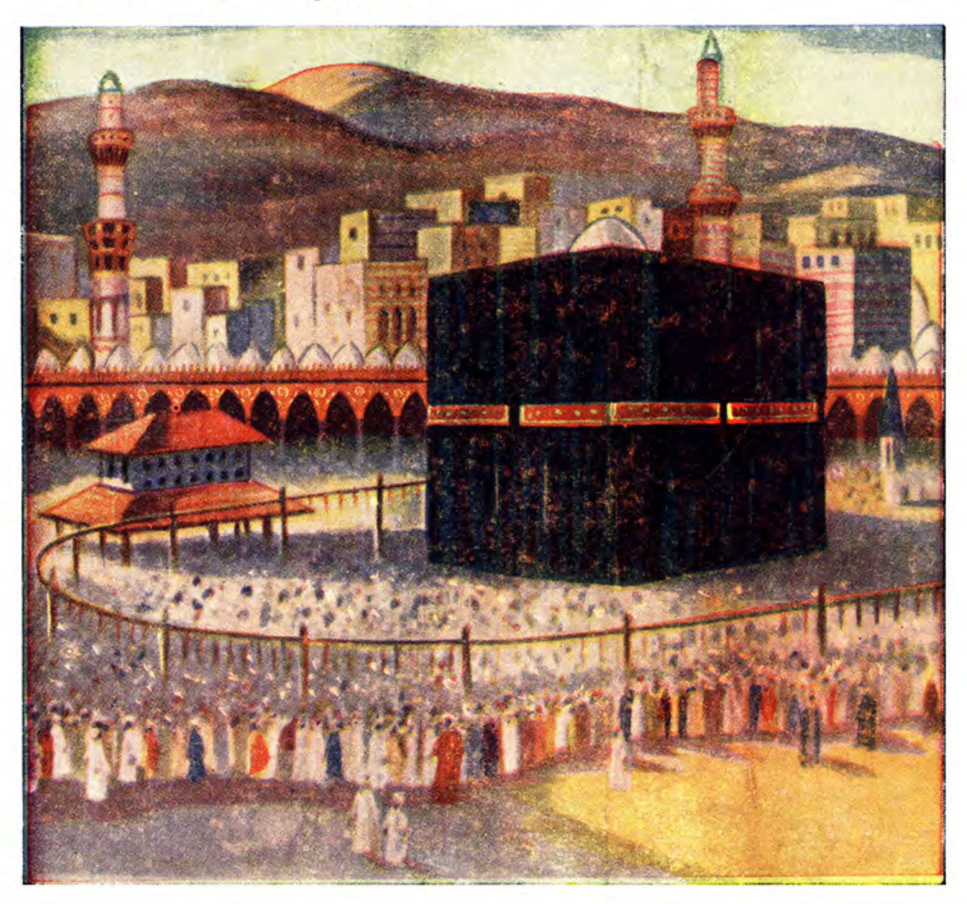
كامل كيلاني

مِنْ حَياةِ الرسُول

رُؤْيَا عاتِكَة

حوار بين الأصدقاء الثلاثة



دار مكتبة الأطفال - القاهرة
أول مؤسسة عربية لتثقيف الطفل
٣٢ شارع حسن الأكبر - ت ٥٠٨١٨
٢٨ شارع البستان - ت ٣٣١٥٨

كامل كيلانى

مِنْ حَيَاةِ الرَّسُول

رُؤْيَا عَاتِكَة

حِوار بَيْنَ الأصدقاء الثلاثة

دار مكتبة الأطفال - القاهرة
أول مؤسسة عربية لتثقيف الطفل
٣٢ شارع حسن الأكبر - ت ٥٠٨١٨
٢٨ شارع البستان - ت ٣٣١٥٨

مطبعة الكيلانى الصغير
٢٨ شارع البستان — باب اللوق
ت ٣٣١٥٨ — القاهرة

حِوارٌ بَيْنَ الأَصْدِقاءِ الثَّلاثَة

٥ — رُؤْيا « عاتِكَةَ »

— ما كانَ أَرْوَعَ حِوارَكَ السّابِقَ ، يا « رَشادُ » !

— لَمْ يَنْقَضِ عَجَبُنا مِمّا سَمِعْناهُ مِنْ حَديثِكَ السّابِقِ .

— لَقَدْ وَقَفَ بِنا الْحَديثُ عِنْدَ « ضَمْضَمٍ » : ذٰلِكَ الدّاهِيَةِ الَّذى عَرَفَ كَيْفَ يَتَفَنَّنُ فِي اسْتِثارَةِ « قُرَيْشٍ » لِمُحارَبَةِ الرَّسُولِ .

— لَقَدْ عَرَفَ ذٰلِكَ الشَّيْطانُ كَيْفَ يُؤَلِّبُ « قُرَيْشًا » عَلَى الرَّسُولِ ، لِيُنْقِذُوا تِجارَتَهُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيْها الْمُسْلِمُونَ .

— كانَ « ضَمْضَمٌ » داهِيَةً مِنْ كِبارِ الدُّهاةِ .

— كَما كانَ داعِيَةً مِنْ كِبارِ الدُّعاةِ !

— كانَ بارِعًا فِي إِثارَةِ حَرْبِ الأَعْصابِ .

— كَما كانَ حاذِقًا فِي الدِّعايَةِ ، مُمْعِنًا فِي إِشْعالِ الْفِتَنِ ، وَإِلْهابِ الثَّوْراتِ .

— كانَ بارِعَ الْحِيلَةِ ، فِي ابْتِكارِ الْوَسائِلِ لِاسْتِنْهاضِ الْهِمَمِ الْمُتَقاعِسَةِ .

— فَماذا صَنَعَ ؟

— راحَ «ضَمْضَمٌ» ، مُسْرِعًا فِي طَرِيقِهِ ، إِلَى «مَكَّةَ» ؛ لِيُؤَلِّبَ «قُرَيْشًا» عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

— لَقَدْ حَدَثَ فِي هٰذا الْوَقْتِ أَمْرٌ أَغْرَبُ مِنَ الْخَيالِ .

— ماذا حَدَثَ ، يا «رَشادُ» ؟

— رَأَتْ إِحْدَى الْقُرَشِيَّاتِ حُلْمًا عَجِيبًا فَزَّعَها ، وَمَلَأَ قَلْبَها رُعْبًا .

— لَعَلَّكَ تَعْنِي حُلْمَ «عاتِكَةَ» ؟

— مَنْ «عاتِكَةُ» ؟

— بِنْتُ «عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» .

— أُخْتُ «الْعَبَّاسِ» ؟

— هِيَ بِعَيْنِها .

— فَأَيَّ حُلْمٍ رَأَتْ ؟

— رَأَتْ نَذِيرًا مِنَ الشَّرِّ :

رَأَتْ كارِثَةً فادِحَةً تُوشِكُ أَنْ تَحُلَّ بِـ «قُرَيْشٍ» ، فَتُدَمِّرَ الْبَلَدَ بِمَنْ فِيهِ ، وَتَدُكَّهُ عَلَى ساكِنِيهِ .

فِي عالَمِ الْأَحْلامِ ، رَأَتْ «عاتِكَةُ» رَجُلًا عَلَى ظَهْرِ جَمَلٍ ، يَقْدَمُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى «مَكَّةَ» مُسْرِعًا ، وَعَلَى وَجْهِهِ دَلائِلُ الْحَسْرَةِ والْغَيْظِ .

— ثُمَّ ماذا ؟

— ثُمَّ رَأَتْ ذٰلِكَ الرَّجُلَ يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ مُسْتَغِيثًا بِـ « قُرَيْشٍ » .

وَسَمِعَتْهُ وَهُوَ يُنْذِرُها بِالْوَيْلِ ، وَيُحَذِّرُها مِنَ التَّواكُلِ .

وَرَأَتْهُ لا يَكادُ يَنْتَهِي مِنْ صِياحِهِ وَاسْتِغاثَتِهِ ، وَيُلْهِبُ جُمُوعَها لِأَخْذِ الثَّأْرِ ؛ حَتَّى يُسْرِعَ النَّاسُ إِلَى تَلْبِيَةِ دَعْوَتِهِ ، وَيَتَجَمَّعُوا حَوْلَهُ .

— ثُمَّ ماذا ؟

— ثُمَّ رَأَتِ الصَّائِحَ يَتَّجِهُ نَحْوَ « الْكَعْبَةِ » بِجَمَلِهِ .. ثُمَّ يَقِفُ جَمَلُهُ عَلَى ظَهْرِ « الْكَعْبَةِ » .. ثُمَّ يَصْرُخُ مَرَّةً أُخْرَى بِمِثْلِ ما صَرَخَ بِهِ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ .

— ماذا قالَ ؟

— أَنْذَرَ أَهْلَ « مَكَّةَ » بِالْهَلاكِ الْعاجِلِ .. ثُمَّ قَفَزَ جَمَلُهُ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ ؛ فَصَرَخَ كَما صَرَخَ فِي الْمَرَّتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ .. ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً ، فَأَرْسَلَها مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ .

وَسُرْعانَ ما سَقَطَتْ ؛ فَلَمْ تَتْرُكْ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِ « مَكَّةَ » ، وَلا دارًا مِنْ دُورِها ، إِلَّا نَفَذَتْ إِلَيْهِ شَظِيَّةٌ مِنْها .

– أَىُّ حُلْمٍ مُفَزِّعٍ !

– أَضْغاثُ أَحْلامٍ !

– كَلَّا ، بَلْ كانَتْ رُؤْيا صادِقَةً ؛ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ تَحَقَّقَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ .

– هَلْ أَفَضَتْ « عاتِكَةُ » بِرُؤْياها إِلَى أَحَدٍ ؟

– بَعَثَتْ إِلَى أَخِيها « الْعَبَّاسِ » ..

فَلَمَّا حَضَرَ ، راحَتْ تَقُصُّ عَلَيْهِ تِلْكَ الرُّؤْيا الَّتِى خَوَّفَتْها ، وَمَلَأَتْ قَلْبَها فَزَعًا وَرُعْبًا .

وَلَمْ تَكَدْ تَقُصُّ حُلْمَها عَلَى أَخِيها « الْعَبَّاسِ » حَتَّى انْزَعَجَ .

– فَزَّعَتْهُ الرُّؤْيا ؟

– بَلْ خَشِىَ أَنْ يَنْتَقِلَ خَبَرُ الْحُلْمِ إِلَى « قُرَيْشٍ » .

– وَماذا يَعْنِيهِ أَنْ تَعْرِفَ « قُرَيْشٌ » تَفْصِيلَ هٰذا الْحُلْمِ الْهائِلِ ؟

– كانَ يَخْشَى أَنْ يَكُونَ أَضْغاثَ أَحْلامٍ ؛ فَتُعَيِّرَهُ « قُرَيْشٌ » بِهِ ، وَيَتَّخِذَ النَّاسُ مِنْهُ أَحادِيثَ أَسْمارِهِمْ وَأَقاصِيصِهِمْ .

– فَماذا قالَ لِأُخْتِهِ ؟

– طَلَبَ إِلَيْها أَنْ تَكْتُمَ الرُّؤْيا ، وَلا تَذْكُرَها لِأَحَدٍ .

– فَهَلْ عَمِلَتْ بِوَصِيَّةِ أَخِيها ؟

– لَمْ تَكُنْ لِتُخالِفَ لَهُ رَأْياً .

– وَبِذٰلِكَ ضَمِنَ «الْعَبَّاسُ» أَلَّا يَعْلَمَ بِرُؤْياها أَحَدٌ .

– لَقَدْ عَلِمَ بِها النَّاسُ جَمِيعًا !

– كَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟

أَلَمْ تَقُلْ لَنا : إِنَّ أُخْتَهُ قَدْ عَمِلَتْ بِنَصِيحَتِهِ ، فَكَتَمَتْ رُؤْياها عَنْ كُلِّ إِنْسانٍ ؟

– كَذٰلِكَ كانَ :

عَمِلَتْ أُخْتُهُ بِالْوَصِيَّةِ ، وَلَمْ يَعْمَلْ أَخُوها بِها !

– أَتَعْنِي أَنَّ «الْعَبَّاسَ» خالَفَ النَّصِيحَةَ الَّتِي أَسْداها إِلَى أُخْتِهِ ؟

– خالَفَها بَعْدَ لَحَظاتٍ .

– كَيْفَ ؟

– لَمْ يَكَدِ «الْعَبَّاسُ» يَخْرُجُ مِنَ الدَّارِ ، حَتَّى لَقِيَ أَحَدَ أَصْدِقائِهِ .. فَلَمْ يَتَمالَكْ أَنْ قَصَّ عَلَيْهِ رُؤْيا أُخْتِهِ ، بَعْدَ أَنِ اسْتَكْتَمَهُ إِيَّاها .

– ما اسْمُ ذٰلِكَ الصَّدِيقِ ؟

– هُوَ «الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ» .

– ما أَظُنُّ «الوَلِيدَ» كانَ أَكْتَمَ لِلسِّرِّ مِنَ «الْعَبَّاسِ» الَّذِي اُسْتَوْدَعَهُ إِيَّاهُ !

– «إِذا ضاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ حَمْلِ سِرِّهِ
فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ» !

– تَعْنِي أَنَّ «الْوَلِيدَ» أَفْضَى بِالسِّرِّ إِلَى غَيْرِهِ ؟

– أَفضَى بِهِ إِلَى أَبِيهِ .

– وَما أَظُنُّ أَباهُ كانَ أَكْتَمَ لِلسِّرِّ مِنْ وَلَدِهِ .

– صَدَقْتَ . فَقَدْ أَفْضَى بِهِ أَبُوهُ إِلَى أَحَدِ أَصْحابِهِ .

– ثُمَّ أَفْضَى بِهِ صاحِبُهُ إِلَى غَيْرِهِ . وَهٰكَذا . . . .

– ذٰلِكَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ . . فَلَمْ يَلْبَثِ السِّرُّ أَنْ فَشا ، وَذاعَ خَبَرُهُ فِي كُلِّ مَكانٍ .

– حَتَّى تَحَدَّثَتْ بِهِ «قُرَيْشٌ» كُلُّها .

– وَوَقَعَ ما كانَ يَخْشاهُ «الْعَبَّاسُ» .

– وَهُنا تَحَيَّرَ ، فَلَمْ يَدْرِ ما يَصْنَعُ ؛ فَإِنَّ الْحُلْمَ إِذا لَمْ يَتَحَقَّقْ فِي مَدَى ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ، أَصْبَحَ مَجالًا لِسُخْرِيَةِ كُلِّ عابِثٍ .

– لَمْ يُخْطِئْ ظَنُّكَ .

– فَماذا صَنَعَ «الْعَبَّاسُ» ؟

— تَمَلَّكَتْهُ الْحَيْرَةُ والدَّهَشُ ، فَخَرَجَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ . فَلَقِيَ «أَبا جَهْلٍ» فِي جَماعَةٍ مِنْ «قُرَيْشٍ» ، وَهُمْ قُعُودٌ يَتَحَدَّثُونَ بِهٰذا الْحُلْمِ الْمُخِيفِ .

— أَيُّ مُصادَفَةٍ سَيِّئَةٍ !

— فَماذا صَنَعَ «أَبُو جَهْلٍ» ؟

— اِسْتَدْعاهُ إِلَيْهِ ، بَعْدَ أَنْ يَنْتَهِيَ مِنْ طَوافِهِ .

— لا رَيْبَ أَنَّ «الْعَبَّاسَ» تَوَجَّسَ شَرًّا مِنْ لِقائِهِ !

— لَقَدْ أَدْرَكَ «الْعَبَّاسُ» أَنَّ «أَبا جَهْلٍ» لا بُدَّ سائِلُهُ عَنْ حُلْمِ أُخْتِهِ «عاتِكَةَ» .

— فَهَلْ ذَهَبَ «الْعَبَّاسُ» إِلَى لِقائِهِ ؟

— لَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ ذٰلِكَ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ طَوافِهِ ، أَقْبَلَ عَلَى «أَبِي جَهْلٍ» ، حَتَّى بَلَغَهُ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ مَعَ أَصْحابِهِ .

وَلَمْ يَكَدْ يَسْتَقِرُّ ، حَتَّى ابْتَدَرَهُ «أَبُو جَهْلٍ» ، يَسْأَلُه مُتَهَكِّمًا ساخِرًا : «مَتَى حَدَثَتْ فِيكُمْ هٰذِهِ النَّبِيَّةُ ؟ !»

— فَبِماذا أَجابَهُ «الْعَبَّاسُ» ؟

— تَجاهَلَ دُعابَتَهُ السَّمْجَةَ ، وَسَأَلَهُ عَمَّا يُرِيدُ ؟

— فَماذا قالَ «أَبُو جَهْلٍ» ؟

— عادَ إِلَى سُؤَالِ «العَبَّاسِ» عَنِ الرُّؤْيا الَّتِي رَأَتْها «عاتِكَةُ» .

ثُمَّ خَتَمَ تَهَكُّمَهُ قائِلًا :

«يا بَنِي «عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» :

أَما رَضِيتُمْ أَنْ تَتَنَبَّأَ رِجالُكُمْ ، حَتَّى تَتَنَبَّأَ نِساؤُكُمْ ؟»

— يا لَهُ مِنْ خَبِيثٍ !

— يَأْبَى إِلَّا أَنْ يُعَرِّضَ بِالرَّسُولِ !

— أَكانَ لَهُ عَمَلٌ غَيْرُ ذٰلِكَ ؟ !

— ثُمَّ ماذا ؟

— ثُمَّ قالَ «أَبُو جَهْلٍ» :

«لَقَدْ زَعَمَتْ «عاتِكَةُ» فِي رُؤْياها أَنَّنا أُنْذِرْنا بِالْوَيْلِ ، قَبْلَ أَنْ تَنْقَضِيَ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ . فَسَنَتَرَبَّصُ بِكُمْ هٰذِهِ الْأَيَّامَ الثَّلاثَةَ :

فَإِنْ يَكُنْ ما قالَتْ حَقًّا ، فَسَيَكُونُ ..

وَإِنْ تَمْضِ الْأَيَّامُ الثَّلاثَةُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ ، نَكْتُبْ عَلَيْكُمْ كِتابًا أَنَّكُمْ أَكْذَبُ أَهْلِ بَيْتٍ فِي الْعَرَبِ !»

— أَيُّ لِسانٍ سَلِيطٍ !

— مِثالٌ فَذٌّ فِي السَّفاهَةِ .

— ما هُوَ بِفَذٍّ ، بَلْ هُوَ فَظٌّ !

— غايَةٌ فِي الْفَظاظَةِ .

— فَماذا قالَ « الْعَبَّاسُ » ؟

— لا رَيْبَ أَنَّهُ تَفَزَّعَ مِمَّا سَمِعَ .

— صَدَقتَ . وَقَدْ عَجَزَ « الْعَبَّاسُ » أَمامَ هٰذا التَّحَدِّى الْوَقِحِ ، وَلَمْ يَجْرُؤْ عَلَى مُقابَلَتِهِ بِالْمِثْلِ .

— كانَتْ مُباغَتَةً ، لَمْ يُعِدَّ لَها عُدَّتَهُ .

— لِماذا لَمْ يُكاشِفْهُ بِالْحَقِيقَةِ سافِرَةً ؟

— كانَ لا يَجْرُؤُ عَلَى الْإِثْباتِ .

— كَما كانَ لا يَجْرُؤُ عَلَى الْإِنْكارِ .

— كانَ حَياؤُهُ يَأْبَى عَلَيْهِ أَنْ يُجارِىَ السُّفَهاءَ فِي سَفاهَتِهِمْ .

— أَىُّ ضَرَرٍ فِي إِذاعَةِ رُؤْيا « عاتِكَةَ » ؟

— أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّ إِذاعَةَ رُؤْياها لَمْ تَكُنْ لِتَضُرَّهُ ، لَوْ ضَمِنَ تَحْقِيقَها ؟

— الْآنَ ذَكَرْتُ ما قُلْتَهُ لِي ، وَما أَدْرِى كَيْفَ أُنْسِيتُهُ !

— لَوْ أَنَّها لَمْ تَتَحَقَّقْ ، لَأَصْبَحَ « بَنُو هاشِمٍ » مُضْغَةً فِي جَمِيعِ الْأَفْواهِ .

— فماذا صَنَعَ «الْعَبَّاسُ» ؟

— لَمْ يَكَدْ يَأْتِي الْمساءُ ، حَتَّى لَقِيَ بَناتِ «عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» غاضِباتٍ عَلَيْهِ .

— ماذا أَغْضَبَهُنَّ عَلَى أَخِيهِنَّ ؟

— أَغْضَبَهُنَّ ما عَلِمْنَهُ مِنْ سُكُوتِهِ عَلَى الضَّيْمِ .

— أَيَّ ضَيْمٍ يَعْنِينَ ؟

— سَكَتَ عَلَى سُخْرِيَةِ «أَبِي جَهْلٍ» ، حِينَ تَوَعَّدَهُ أَنْ يُسَجِّلَ عَلَى أَهْل بَيْتِ الرَّسُولِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ ، أَنَّهُمْ أَكْذَبُ أَهْلِ بَيْتٍ فِي الْعَرَبِ .

— سِلْسِلَةٌ مِنَ الْمَآزِقِ ، لا يَكادُ يَخْرُجُ مِنْ حَرَجٍ إِلَّا إِلَى حَرَجٍ .

— لَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ «بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» إِلَّا غاضَبَتِ «الْعَبَّاسَ» ، وَحَرَّضَتْهُ عَلَى الِانْتِقامِ مِنْ «أَبِي جَهْلٍ» .

— ما كانَ أَجْدَرَهُ بِمُعاقَبَتِهِ عَلَى سَفاهَتِهِ !

— وَما أَجْدَرَ الْحَلِيمَ أَنْ يَكُفَّ عَنْ حِلْمِهِ ، فِي غَيْرِ مَوْطِنِ الْحِلْمِ .

– « وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلا

مُخِلٌّ ، كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى » !

– لَقَدْ أَسَرَّها « الْعَبَّاسُ » فِي نَفْسِهِ ، بَعْدَ أَنْ أَفاقَ مِنْ صَدْمَةِ الْمُباغَتَةِ .

– فَبِماذا أَجابَ أَخَواتِهِ ؟

– وَعَدَهُنَّ بِمُعاقَبَةِ « أَبِي جَهْلٍ » وَتَأْدِيبِهِ .. وَتَحَفَّزَ لِلْفَتْكِ بِهِ ، مَتَى عادَ إِلَى إِثارَةِ الْحَدِيثِ فِي هٰذِهِ الرُّؤْيا .

– فَهَلْ أُتِيحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ لِإِنْجازِ ما وَعَدَ ؟

– لا أَدْرِي كَيْفَ أُجِيبُكَ عَنْ هٰذا السُّؤالِ .

– كَيْفَ لا تَدْرِي ؟

– لَكَ أَنْ تَقُولَ : نَعَمْ . وَلَكَ أَنْ تَقُولَ : لا !

– عُدْنا إِلَى أَلْغازِكَ وَأَحاجِيكَ .

– أَحْبِبْ بِأَلْغازِ « رَشادٍ » وَأَحاجِيهِ ؛ فَهُوَ يَلْجَأُ إِلَيْها ، لِيُثِيرَ فِينا الْيَقَظَةَ وَالِانْتِباهَ .

– إِنَّها تُنَشِّطُنا إِلَى الِاسْتِمْتاعِ بِعَذْبِ أَحادِيثِهِ ، وَبارِعِ مُلاحَظاتِهِ .

– صَدَقْتَ يا «صَلاحُ» ؛ وَلٰكِنْ لا سَبِيلَ إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ .

– أَيَّ ضِدَّيْنِ تَعْنِي ؟

– لا سَبِيلَ إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْباتِ فِي خَبَرٍ واحِدٍ .

– إِمَّا لا ، وَإِمَّا نَعَمْ !

– صَدَقَ «سَعِيدٌ» ، يا «رَشادُ» : إِمَّا أَنْ تَكُونَ الْفُرْصَةُ سَنَحَتْ لِـ «الْعَبَّاسِ» ، فانْتَقَمَ مِنْ «أَبِي جَهْلٍ» . وَإِمَّا أَنَّها لَم تَسْنَحْ .

أَمَّا الْجَمْعُ بَيْنَهُما فَعَسِيرٌ عَلَى أَفْهامِ أَمْثالِنا .

– أَنا أُفَسِّرُ لَكُما ما غَمَضَ عَلَيْكُما

– قُلْ ، فَإِنَّا سامِعانِ .

– لَقَدْ أَجابَ «الْعَبَّاسُ» عَمَّا تَسْأَلانِ !

– ماذا قالَ ؟

قالَ «الْعَبَّاسُ» :

«قَدِمْتُ الْمَسْجِدَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ رُؤْيا «عاتِكَةَ» وَأَنا جِدُّ مُغْضَبٍ ؛ أَرَى أَنَّهُ قَدْ فاتَنِي مِنْ «أَبِي جَهْلٍ» أَمْرٌ أُحِبُّ أَنْ أُدْرِكَهُ» .

– كانَ يَتَحَفَّزُ لِلْفَتْكِ بِـ «أَبِي جَهْلٍ» .

— لَمْ تَشْفِ غَلِيلَنا بِالْإِجابَةِ عَنْ سُؤالِنا إِلَى الْآنَ .

— بِماذا شُغِلَ عَنْهُ ، يا «رَشادُ» ؟

— لَمْ تَقُلْ لَنا : هَلْ أَدْرَكَ «الْعَبَّاسُ» ما فاتَهُ مِنْ إِرْغامِ «أَبِي جَهْلٍ» ، أَمْ فاتَهُ غَرَضُهُ ؟

— رُوَيْدًا ، أَيُّها الصَّدِيقانِ ، وَلا تَعْجَلا ؛ فَإِنِّي مُحَدِّثُكُما بِما تُرِيدانِ .

— قُلْ ، فَنَحْنُ سامِعانِ .

— لَمْ يَكَدِ «الْعَبَّاسُ» يَدْخُلُ بابَ الْمَسْجِدِ ، وَيُسْرِعُ إِلَى «أَبِي جَهْلٍ» ، مُقْبِلًا عَلَيْهِ بِوَجْهٍ غاضِبٍ ، يَبْدُو عَلَى أَسارِيرِهِ التَّحَدِّي ، وَيَكادُ شَرَرُ الْغَيْظِ يَتَطايَرُ مِنْ عَيْنَيْهِ ؛ حَتَّى رَأَى ما لَمْ يَخْطُرْ لَهُ عَلَى بالٍ

— ماذا رَأَى ؟

— لَمْ يَكَدِ «الْعَبَّاسُ» يَمْشِي نَحْوَ «أَبِي جَهْلٍ» يَسْتَعْرِضُهُ ، لِيَعُودَ لِبَعْضِ ما قالَ ؛ فَيُتِيحَ لَهُ الْفُرْصَةَ لِلتَّنْكِيلِ بِهِ ، والِاقْتِصاصِ مِنْهُ ؛ حَتَّى رَأَى «أَبا جَهْلٍ» يُسْرِعُ بِالْخُرُوجِ مِنْ بابِ الْمَسْجِدِ مُهَرْوِلًا . . كَأَنَّما يَشْتَدُّ فِي الْهَرَبِ ، وَقَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْخَوْفُ والذُّعْرُ .

— هَرَبًا مِنْ لِقاءِ «الْعَبَّاسِ» وَتَحَدِّيهِ ؟

— كَذٰلِكَ تَظُنَّانِ ، وَكَذٰلِكَ ظَنَّ «الْعَبَّاسُ» .

— ظَنَّ أَنَّ «أَبا جَهْلٍ» دَفَعَهُ الْخَوْفُ مِنْ تَحَدِّيهِ ، إِلَى الْهَرَبِ مِنْ لِقائِهِ .

— كَذٰلِكَ تَوَهَّمَ «الْعَبَّاسُ» ، فَخُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّ خَصْمَهُ قَدْ فَرَّ مِنَ الذُّعْرِ .

فَقالَ «الْعَبَّاسُ» فِي نَفْسِهِ :

«لَعَنَ اللّٰهُ «أَبا جَهْلٍ» !

أَكُلُّ هٰذا فَرَقًا مِنْ أَنْ أُشاتِمَهُ ؟ ! »

— تَقُولُ إِنَّ «الْعَبَّاسَ» قَدْ وَهِمَ فِي حِسْبانِهِ . . .

فَهَلْ تَعْنِي أَنَّ «أَبا جَهْلٍ» لَمْ يَهْرُبْ خَوْفًا مِنْهُ ؟

— لَمْ يَخْطُرْ لَهُ الْخَوْفُ مِنَ «الْعَبَّاسِ» عَلَى بالٍ .

— فَماذا أَخافَ «أَبا جَهْلٍ» ؟

— كانَ «أَبُو جَهْلٍ» قَدْ سَمِعَ صِياحَ «ضَمْضَمٍ» ، وَهُوَ يُوَلْوِلُ مُسْتَنْجِدًا بِـ «قُرَيْشٍ» .

— كانَ «ضَمْضَمٌ» قَدْ وَصَلَ إِلَى «مَكَّةَ» ؟

— نَعَمْ . وَسَمِعَهُ «أَبُو جَهْلٍ» وَهُوَ يَصْرُخُ بِبَطْنِ الْوادِي ، واقِفًا عَلَى بَعِيرِهِ .

– رَآهُ «أَبُو جَهْلٍ» وَهُوَ يَسْتَصْرِخُ «قُرَيْشًا» ، وَيَحْفِزُهُمْ إِلَى قِتالِ الرَّسُولِ ؟

– رَآهُ واقِفًا عَلَى جَمَلِهِ .

– بَعْدَ أَنْ جَدَعَ أَنفَ الْجَمَلِ ، وَقَطَعَ أُذُنَيْهِ .

– رَأَى «ضَمْضَمًا» واقِفاً عَلَى جَمَلِهِ ، وَقَدْ شَقَّ ثَوْبَهُ ، كَما قُلْتُ لَكُما مِنْ قَبْلُ .

– لِيَسْتَثِيرَ مَنْ يَراهُ إِلَى الْحَرْبِ .

– وَسَمِعَهُ «أَبُو جَهْلٍ» ، كَما سَمِعَهُ غَيْرُهُ مِنْ ساداتِ «قُرَيْشٍ» وَغَيْرِهِمْ ، يُنْذِرُهُمْ بِضَياعِ أَمْوالِهِمْ ، وَفِقْدانِ تِجارَتِهِمْ ؛ بَعْدَ أَنْ عَرَضَ الرَّسُولُ لِـ «أَبِي سُفْيانَ» ، وَأَوْشَكَ أَنْ يَغْلِبَهُ عَلَى أَمْرِهِ .

– قَبَّحَ اللهُ «ضَمْضَمًا» مِنْ داعِيَةٍ داهِيَةٍ !

– وَما زالَ «ضَمْضَمٌ» يُوَلْوِلُ صائِحًا :

«أَمْوالُكُمْ مَعَ «أَبِي سُفْيانَ» ، قَدْ عَرَضَ لَها «مُحَمَّدٌ» فِي أَصْحابِهِ .. لا أَرَى أَنْ تُدْرِكُوها . الْغَوْثَ ! الْغَوْثَ ! »

– الْآنَ فَهِمْنا ما عَنَيْتَهُ ، يا «رَشادُ» ، حِينَ أَجَبْتَنا عَنْ سُؤَالِنا بِالنَّفْيِ والْإِثْباتِ جَمِيعًا .

— نَعَمْ . فقَدِ انتقَمَ الْقَدَرُ لِـ «الْعَبَّاسِ» مِنْ خَصْمِهِ ، دُونَ أَنْ يُحَرِّكَ «الْعَبَّاسُ» قَدَمًا لِلأَخْذِ بِثَأْرِهِ مِنْ مُغاضِبِهِ .

— لَقَدْ تَحَقَّقَتْ رُؤْيا «عاتِكَةَ» !

— فَشَغَلَتْهُ عَنِ التَّهَكُّمِ بِها .

— كَما شَغَلَتْهُ عَنْ مُقابَلَةِ تَحَدِّى «الْعَبَّاسِ» بِمِثْلِهِ .

— وَهٰكَذا خَرَجَ «أَبُو جَهْلٍ» مُسْرِعًا ، ثائِرًا صاخِبًا ، يَتَوَعَّدُ الرَّسُولَ .

— لَمْ يَكَدْ «ضَمْضَمٌ» يَقْتَرِبُ مِنْ «مَكَّةَ» ؛ حَتَّى قَطَعَ أَنْفَ جَمَلِهِ وَأُذُنَيْهِ ، كَما قُلْتُ لَكُما فِيما سَبَقَ .

— ثُمَّ وَقَفَ «ضَمْضَمٌ» عَلَى ظَهْرِ الْجَمَلِ ، بَعْدَ أَنْ عَمَدَ إِلَى ثَوْبِهِ ، فَشَقَّهُ مِنْ خَلْفٍ وَأَمامٍ .

— يالَهُ مِنْ مَنْظَرٍ مُضْحِكٍ !

— وَلٰكِنَّهُ ضَحِكٌ كالْبُكا !

— وَشَرُّ الْبَلِيَّةِ ما يُضْحِكُ !

— إِنَّما يُضْحِكُ أَمْثالَنا مِنَ الْمُتَفَرِّجِينَ ؛ وَلٰكِنَّهُ يَفْجَعُ أَبْطالَ الْقِصَّةِ الْحَقِيقِيِّينَ .

— صَدَقْتَ . فَإِنَّ النَّظَّارَةَ رُبَّما أَضْحَكَهُمْ مِنْ أَبْطالِ الْقِصَّةِ ما يَتَعَرَّضُونَ لَهُ مِنَ النَّكَباتِ الَّتِي تَقْصِمُ الظُّهُورَ !

— لا عَجَبَ فِي ذٰلِكَ ؛ فَإِنَّ النَّظَّارَةَ لا يُخَوِّفُهُمْ ما يَرَوْنَهُ مِنَ الْفَواجِعِ والْأَهْوالِ ، ما دامُوا فِي أَمْنٍ مِنْها واطْمِئْنانٍ .

— لَيْسَ يَسْتَوِي مَنْ تُلْهِبُهُ السِّياطُ وَمَنْ يَعُدُّها !

— شَتَّانَ بَيْنَهُما شَتَّانَ !

— دَخَلَ « ضَمْضَمٌ » « مَكَّةَ » ، كَما سَمِعْتُما ، وَهُوَ عَلَى هٰذِهِ الْحالِ . وَظَلَّ يُوَلْوِلُ صارِخًا ، يُنادِي « قُرَيْشًا » ، وَيَسْتَثِيرُها أَنْ تُسْرِعَ إِلَى حِمايَةِ أَمْوالِها وَتِجارَتِها الَّتِي أَشْرَفَتْ عَلَى الضَّياعِ .

— ما كانَ أَغْناهُ عَنِ التَّمْثِيلِ .. فَما كانَتْ « قُرَيْشٌ » بِحاجَةٍ إِلَى مَنْ يَسْتَثِيرُها !

— كانَتْ « قُرَيْشٌ » تَخْشَى عَلَى مالِها أَكْثَرَ مِمَّا يَخْشاهُ أَيُّ إِنْسانٍ ؛ فَما تَدَعُ تِجارَتَها تُفْلِتُ مِنْ أَيْدِيها ، عَلَى أَيِّ حالٍ .

وَما أَظُنُّها بَعْدَ هٰذا فِي حاجَةٍ إِلَى مَنْ يَسْتَثِيرُ هِمَّتَها لِحِمايَةِ أَمْوالِها ، واسْتِنْقاذِ تِجارَتِها .

— وَلٰـكِنَّ الدُّعاةَ يَأْبَوْنَ إِلَّا أَنْ يُرْضُوا نَزَعاتِهِمُ الْفَنِّيَّةَ ، فِي حَفْزِ الْهِمَمِ ، واسْتِثارَةِ النُّفوسِ .

— أَيَّ نَزَعاتٍ فَنِّيَّةٍ تَعْنِي ؟

— إِنَّما يَعْنِي نَزَعاتِهِمُ الْخَبِيثَةَ .

— إِنَّ لِلشَّرِّ ، كَما لِلْخَيْرِ ، فُنُونًا وَأَلْوانًا !

— وَإِنَّ لِلنُّفُوسِ الطَّيِّبَةِ نَزَعاتٍ إِلَى الْخَيْرِ ، كَما أَنَّ لِلنُّفُوسِ الْخَبِيثَةِ نَزَعاتٍ إِلَى الشَّرِّ .

— « كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ » !

— لَقَدْ سَمِعَهُ « أَبُو جَهْلٍ » ، وَهُوَ يَسْتَحِثُّ النَّاسَ عِنْدَ « الْكَعْبَةِ » ؛ فاشْتَدَّ غَضَبُهُ وَهِياجُهُ .

— لَقَدْ عَرَفَ ذٰلِكَ الدَّاعِيَةُ كَيْفَ يُؤَلِّبُ « مَكَّةَ » بِأَسْرِها عَلَى الرَّسُولِ .

— لا تَقُلْ بِأَسْرِها !

— كَيْفَ تَقُولُ ؟

هَلْ بَقِيَ مِنْ ساداتِ « مَكَّةَ » مَنْ تَقاعَسَ عَنِ النِّداءِ ؟

— لَكَ أَنْ تَقُولَ : إِنَّ « ضَمْضَمًا » عَرَفَ كَيْفَ يُثِيرُ « قُرَيْشًا » وَمَنْ ناصَرَها مِنَ الْمَكِّيِّينَ ، وَيُؤَلِّبُهُمْ عَلَى الرَّسُولِ وَصَحابَتِهِ .

— أَتَعْنِي أَنَّ هُناكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ يُناصِرُ «قُرَيْشًا» مِنْ أَهْلِ «مَكَّةَ» ؟

— ما دُمْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ الْعَدْلَ لَمْ يُنْتَزَعْ مِنَ النُّفُوسِ ، وَأَنَّ الْخَيْرَ لَمْ يَنْضَبْ مَعِينُهُ مِنَ الدُّنْيا ، وَأَنَّ الْعالَمَ لَمْ يَخْلُ - فِي أَيِّ عَصْرٍ وَمِصْرٍ - مِمَّنْ يَثُورُ عَلَى الظُّلْمِ ، وَيَغْضَبُ لِلْحَقِّ ؛ فَلا مَناصَ مِنْ أَنْ تُؤْمِنَ بِأَنَّ بَعْضَ الْمَكِّيِّينَ كانُوا يَسْتَنْكِرُونَ ما يَرَوْنَهُ مِنْ إِسْرافِ «قُرَيْشٍ» فِي عُدْوانِها لِلرَّسُولِ ، وَتَمادِيها فِي ظُلْمِهِ ، وَإِمْعانِها فِي الْإِساءَةِ إِلَيْهِ وَإِلَى صَحابَتِهِ .

— وَقَدْ دَفَعَهُمْ ذٰلِكَ إِلَى الْعَطْفِ عَلَيْهِ ، أَوْ عَلَى الْأَقَلِّ دَفَعَهُمْ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى الْحِيادِ .

— لِمِثْلِ هٰذِهِ الطَّائِفَةِ الْمُحايِدَةِ كانَ «ضَمْضَمٌ» يُعِدُّ عُدَّتَهُ لِاسْتِثارَتِها بِما فَعَلَ .

— وَقَدْ عَرَفَ ذٰلِكَ الْهارِجُ الْخَبِيثُ كَيْفَ يُشْعِلُ نارَ الْفِتْنَةِ بِأَلاعِيبِهِ الْخَطِرَةِ .

— وَقَدْ أَفْلَحَ فِي إِثارَةِ الْقَوْمِ ؛ لِيَتَدارَكُوا تِجارَتَهُمْ ، قَبْلَ أَنْ تُنْهَبَ .

— وَثارَتْ مُجادَلاتٌ عَنِيفَةٌ بَيْنَ أَنْصارِ السَّلامِ وَدُعاةِ الْحَرْبِ !

- وَكانَ «أَبُو جَهْلٍ» بِلا شَكٍّ، أَوَّلَ الدَّاعِينَ إِلَى الانْتِقامِ.

- ذٰلِكَ يَقِينٌ لا يَحْتاجُ إِلَى بَيانٍ!

- وَهٰكَذا انْتَهَتِ الْمُناقَشَةُ الصَّاخِبَةُ بِانْتِصارِ رَأْيِ «أَبِي جَهْلٍ» وَشِيعَتِهِ.

- وَخَرَجَتْ «قُرَيْشٌ» كُلُّها إِلَى الْحَرْبِ.

- لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ سادَتِها غَيْرُ «أَبِي لَهَبٍ».

- لَقَدْ كانَ أَكْبَرَ حاقِدٍ عَلَى الرَّسُولِ، وَأَكْبَرَ مُناوِئٍ لِدَعْوَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ يُعادِلُهُ فِي حِقْدِهِ غَيْرُ «أَبِي جَهْلٍ».. فَكَيْفَ تَخَلَّفَ هٰذا الْحاقِدُ عَنِ الْمَعْرَكَةِ؟

- أَعْجَزَهُ عَنِ الْخُرُوجِ ضَعْفُهُ وَشَيْخُوخَتُهُ.

- وَكانَ عَلَى هٰذا مَرِيضًا.

- فَعاقَهُ الْمَرَضُ عَنْ مُصاحَبَةِ الْجَيْشِ.

- زادَهُ اللهُ مَرَضًا عَلَى مَرَضٍ!

- كانَ مَرِيضَ النَّفْسِ والْجِسْمِ مَعًا.

- كانَ مَرَضُ نَفْسِهِ يَحْفِزُهُ إِلَى الْحَرْبِ، وَيَدْفَعُهُ إِلَى إِضْرامِ نارِها.. وَمَرَضُ جِسْمِهِ يَقْعُدُ بِهِ عَنِ الاشْتِراكِ مَعَ الْجُنْدِ الْمُحارِبِينَ.

— عَلَى أَنَّهُ بَذَلَ ما فِي وُسْعِهِ لِنُصْرَةِ «قُرَيْشٍ» ، وَلَمْ يَقِفْ فِي سَبِيلِ مُساعَدَتِها مَكْتُوفَ الْيَدَيْنِ .

— فَماذا صَنَعَ ؟

— بَعَثَ مَكانَهُ مُحارِبًا غَيْرَهُ .

— بَعَثَ «الْعاصَ بْنَ هِشامٍ» ، وَكافَأَهُ عَلَى ذٰلِكَ أَجْزَلَ الْمُكافَأَةِ .

— بِماذا كافَأَهُ ؟

— تَجاوَزَ لَهُ عَنْ دَيْنٍ اقْتَرَضَهُ مِنْهُ ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْوَفاءَ بِهِ .

— أَكانَ «أَبُو لَهَبٍ» يَدِينُ «الْعاصَ بْنَ هِشامٍ» ؟

— كانَ يَدِينُهُ بِأَرْبَعَةِ آلافِ دِرْهَمٍ .

— كانَتْ لَهُ عَلَيْهِ .. ثُمَّ أَفْلَسَ وَعَجَزَ عَنِ الْوَفاءِ بِها إِلَيْهِ .

— فَاسْتَأْجَرَهُ بِها «أَبُو لَهَبٍ» .

— تَرَكَها لَهُ ، ثَمَنًا لِخُرُوجِهِ إِلَى الْحَرْبِ .

— لِيَقُومَ مَقامَهُ فِيها .

— كَأَنَّما عَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَنْقُصَ عَدَدُ الْأَشْرارِ واحِدًا !

— وَهٰكَذا خَرَجَ «الْعاصُ بْنُ هِشامٍ» إِلَى مَيْدانِ الْحَرْبِ ، وَتَخَلَّفَ «أَبُو لَهَبٍ» .

— وَحاوَلَ «أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ» أَنْ يَتَكاسَلَ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى الْقِتالِ ، كَما تَخَلَّفَ «أَبُو لَهَبٍ» .

— لِماذا حاوَلَ «أُمَيَّةُ» أَنْ يَتَخَلَّفَ ؟

— كانَ «أُمَيَّةُ» شَيْخًا ثَقِيلَ الْحَرَكَةِ ، طاعِنًا فِي السِّنِّ ؛ فَآثَرَ الرَّاحَةَ . وَلٰكِنَّهُ لَمْ يُرْسِلْ أَحَدًا مَكانَهُ ، وَلَمْ يَفْعَلْ ما فَعَلَهُ «أَبُو لَهَبٍ» .

— فَهَلْ قَبِلُوا عُذْرَ «أُمَيَّةَ» فِي تَخَلُّفِهِ عَنِ الْحَرْبِ ؟

— كانَتْ حَرْبًا عامَّةً ، لا يُقْبَلُ فِيها عُذْرٌ لِمُعْتَذِرٍ .

— فَماذا صَنَعُوا ؟

— ذَهَبَ إِلَيْهِ «أَبُو جَهْلٍ» وَصاحِبُهُ «عُقْبَةُ بْنُ مُعَيْطٍ» ، وَلَقِياهُ فِي «الْكَعْبَةِ» .

وَراحا يَتَفَنَّنانِ فِي اسْتِثارَتِهِ ، وَلا يَكُفَّانِ عَنْ إِغاظَتِهِ .

— ماذا صَنَعَ الشَّقِيَّانِ ؟

— صَنَعا مَعَ «أُمَيَّةَ» ما لا يَخْطُرُ عَلَى بالِ الْأَبالِسَةِ والشَّياطِينِ .

— صَدَقَ «صَلاحٌ» ، فَقَدْ جاءَهُ «أَبُو جَهْلٍ» وَصاحِبُهُ وَهُوَ جالِسٌ بَيْنَ قَوْمِهِ ، وَسَلَكا فِي تَحْرِيضِهِ أَعْجَبَ مَسْلَكٍ .

— كَيْفَ تَقُولُ ؟

– قَدَّمَ إِلَيْهِ «أَبُو جَهْلٍ» مُكْحُلَةً وَمِرْوَدًا ، وَقَدَّمَ إِلَيْهِ «عُتْبَةُ بْنُ مُعَيْطٍ» مِجْمَرَةً !

– ماذا تَعْنِي بِالْمِجْمَرَةِ ؟

– مَوْقِدَ الْجَمْرِ .

– تَعْنِي مَوْقِدَ النَّارِ ؟

– فَماذا كانَ مِنَ الأَمْرِ ؟

– قَدَّمَ إِلَيْهِ «ابْنُ مُعَيْطٍ» تِلْكَ الْمِجْمَرَةَ ، طالِبًا إِلَيْهِ أَنْ يَنْعَمَ بِما يَفُوحُ مِنْها مِنْ بَخُورٍ وَطِيبٍ .

– كَما تَنْعَمُ النِّساءُ بِالْبَخُورِ والطِّيبِ !

– هٰكَذا قالَ لَهُ «ابْنُ مُعَيْطٍ» .

– ماذا قالَ ؟

– سَأَلَهُ «أُمَيَّةُ» : ماذا يَعْنِي ؟

فَقالَ لَهُ «ابْنُ مُعَيْطٍ» : «إِنَّما أَنْتَ مِثْلُ النِّساءِ» !

– يا لَهُ مِنْ خَبِيثٍ !

– لَقَدْ عَرَفَ الْخَبِيثُ كَيْفَ يَسْتَثِيرُ نَخْوَةَ «أُمَيَّةَ» ، وَيَهِيجُ حَمِيَّتَهُ ؟

– وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ «أَبُو جَهْلٍ» يُقَدِّمُ إِلَيْهِ الْمِرْوَدَ ،

مُتَهَكِّمًا بِهِ ساخِرًا ، وَيَقُولُ لَهُ مُؤَنِّبًا :

« يا «أَبا عَلِيٍّ» : اِكْتَحِلْ . فَما أَنْتَ إِلَّا مِثْلُ النِّساءِ » !

— لَقَدْ عَرَفا كَيْفَ يُنَغِّصانِ عَلَيْهِ راحَتَهُ .

— وَعَرَفا كَيْفَ يَدْفَعانِهِ إِلَى الْقِتالِ دَفْعًا ، كَما عَرَفا كَيْفَ يَتَغَلَّبانِ عَلَى ضَعْفِهِ ، وَيُنْسِيانِهِ شَيْخُوخَتَهُ .

— فَبِماذا أَجابَهُما ؟

— غَضِبَ مِمَّا فَعَلا أَشَدَّ الْغَضَبِ ، وَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى الْحَرْبِ .

— ذٰلِكَ مَثَلٌ مِمَّا كانُوا يَلْجَئُونَ إِلَيْهِ لِاسْتِثارَةِ الْهِمَمِ .

— أَما كانَ فِيهِمْ عاقِلٌ واحِدٌ يَنْهاهُمْ عَنِ التَّهَوُّرِ ، وَيَكُفُّهُمْ عَنِ التَّمادِى فِى الْخُصُومَةِ واللَّجاجِ ؟

— إِنَّ أَصْواتَ الْعُقَلاءِ الْمُجَرَّبِينَ تَضِيعُ فِى غِمارِ الْفِتَنِ ، وَلا يُنْصِتُ النَّاسُ لِغَيْرِ صَوْتِ الْأَهْواءِ .

وَقَلَّ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَجِيبُ لِغَيْرِ دَواعِى الْأَحْقادِ !

— لَقَدْ نَجا «أَبُو سُفْيانَ» بِقافِلَتِهِ ، وَسَلِمَتْ أَمْوالُ «قُرَيْشٍ» ، فَلَمْ تَقَعْ فِى أَيْدِى الْمُسْلِمِينَ . . ! فَما بالُهُمْ يَتَحَرَّشُونَ بِالْقِتالِ ؟

— أَلَمْ يَقْنَعُوا مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيابِ ؟

- وَهٰكَذا كَسَبَ الْمُسْلِمُونَ ، بِفَضْلِ دَسائِسِ «أَبِي جَهْلٍ» وَأَنْصارِهِ ، أَكْبَرَ أَعْوانِهِمْ .

- كَما كَسَبُوا نُصْرَةَ عَمِّهِ «عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» ، حِينَ هَدَّدُوهُ بِقَتْلِ ابْنِ أَخِيهِ .

- وَكَما كَسَبُوا إِسْلامَ عَمِّهِ «حَمْزَةَ» وَنُصْرَتَهُ ، حِينَ بالَغَ «أَبُو جَهْلٍ» فِي تَحْقِيرِ الرَّسُولِ ، وَأَسْرَفَ فِي إِهانَتِهِ .

- وَكَسَبُوا نُصْرَةَ «النَّجاشِيِّ» ، حِينَ أَغْرَوْهُ بِطَرْدِ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُهاجِرِينَ .

- وَغَنِمُوا إِسْلامَ «عُمَرَ» ، حِينَ زَيَّنُوا لَهُ قَتْلَ الرَّسُولِ .

- لَقَدْ كانَتْ كُلُّ كارِثَةٍ تَلْحَقُ بِالرَّسُولِ أَوْ أَصْحابِهِ ، تَخْطُو بِفِكْرَتِهِ النَّيِّرَةِ خُطُواتٍ مُتَتابِعَةً إِلى الْأَمامِ !

- وَكانَ لِحُسَّادِهِ ، كَما رَأَيْتُما ، أَكْبَرُ الْأَثَرِ فِي نَجاحِ فِكْرَتِهِ .

- والتَّعْجِيلِ بِنَشْرِ أَضْوائِها السَّاطِعَةِ فِي الْآفاقِ .

- ما أَصْدَقَ الْقائِلَ : «كُلُّ ما لَمْ يَقْتُلْكَ فَهُوَ يَنْفَعُكَ !»

- الْآنَ فَهِمْتُ حِكْمَةَ الْعَرَبِ ، وَعَرَفْتُ لِماذا كانُوا يَبْتَهِجُونَ كُلَّما كَثُرَ حُسَّادُهُمْ .

— صَدَقُوا ؛ لِأَنَّ كَثْرَةَ الْحُسَّادِ دَلِيلٌ عَلَى الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ، فَلا عَجَبَ إِذا قالُوا فِي دُعائِهِمْ لِمَنْ يُحِبُّونَ :

« أَكْثَرَ اللهُ حاسِدِيكَ » .

— وَرَحِمَ اللهُ الشّاعِرَ الَّذِي يَقُولُ :

« اِصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحَسُو
دِ ؛ فَإِنَّ صَبْرَكَ قاتِلُهْ .. !
— كالنّارِ تَأْكُلُ بَعْضَها
إِنْ لَمْ تَجِدْ ما تَأْكُلُهْ ! »

— وَرَحِمَ اللهُ الْقائِلَ :

« وَإِذا أَرادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ
طُوِيَتْ ، أَتاحَ لَها لِسانَ حَسُودِ .. !
— لَوْلا اشْتِعالُ النّارِ فِيما جاوَرَتْ
ما كانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ » !

مجموعة من حياة الرسول

أضواء من المولد السعيد

القسم الأول

بين عصر الظلام ومطلع الفجر
هجرة الصحابة
شدائد وأزمات
دواعي الهجرة
هجرة الرسول

القسم الثانى

من المولد إلى الهجرة
من ميدان إلى ميدان
مقدمات الحرب
السهم الأول
رؤيا عاتكة
بين السلم والحرب
نقطة التحول
على هامش بدر
قلوب موتورة

القسم الثالث

أحقاد ثائرة
درس لا ينسى
ملتقى الأهوال
خاتمة أحد
ذكريات أحد
بعد عام

القسم الرابع

غزوٌ ثان
صخرة الخندق
مناوشات يائسة
سفير الغدر
بارقة الأمل
حارس النار
عابد الذهب
الباحث عن الحق
كفاح موصول
حسم الشر
صرخة شيطان

القسم الخامس

تفرق الأحزاب
غزوة سلمية
حيرة الأعداء
فتح قريب
شباب قريش

ظهرت حديثا ترجمات

السيرة إلى اللغات :

الإنجليزية والفرنسية
والألمانية والأردية
والإندونيسية

ثمن الجزء ٤ قروش